

في هذا العدد:

أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي

(الواقفة نموذجاً)

السيد محمد القبانجي

أشراط القيام

الشيخ جاسم أفضل الوائلي

الولاية التدبيرية للإمام الغائب

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

وظيفة المنتظر

علي السيد محمد حسين الحكيم

الانتظار والتمهيد (الأدوار والمكتسبات)

مرقضى علي الحلي

الدولة المهدوية وإشكالية الزمان

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

الدولة المهدوية وإشكالية الزمان

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مقدمة:

تتطلع البشرية إلى حكومة عادلة يُتصَف فيها للمظلومين عن معاناة طيلة هذه القرون المتمايدة، ويتساءل معظم المهتمين بهذا الشأن كم يا ترى ستكون مدة هذه الحكومة العادلة وهل تفي المدة التي ستمسك أثناءها بالحكم وإدارة شؤون الناس لمحو آثار الظلم والاستبداد الذي جشم على صدر البشرية؟

تختلف الأنظار إلى تلك المدة المرتقبة حسب الرؤى والمعتقدات في من سيكون رئيس تلك الحكومة، ففيما ترى جملة من الأديان البشرية أشخاصاً معينين غابوا وسيرجعون ليحكموا العالم بعدهم ترى الأديان الإلهية السامية أنهم منتخبون بعناية فائقة ومحاطون بتسديد كبير من جانب السماء للقيام بهذه المهمة، وحسب اختلاف هذه الرؤى والمعتقدات تختلف بطبيعة الحال مدة حكم هذا المنتظر، وإن كان بحسب الواقع هو شخصاً واحداً.

من هذه الإشكالية انطلق هذا البحث كمحاولة للإجابة على هذا

التساؤل (كم سيحكم العدل)؟

وإذا نظرنا إلى البحث من زاوية عقائدية فإن السؤال يصاغ هكذا: (كم سيحكم المهدي ﷺ)؟

والبحث يقع في تمهيد وعدة نقاط:

تمهيد:

في بيان مفردات البحث (الزمان - الدولة - المهدوية).

الزمان:

فكرة الزمان بالمعنى الذي يتفق عليه الناس في استعمالهم العادي لا يحتاج إلى بيان وإيضاح، تماماً مثل فكرة الوجود نفسه أو المكان، ولكن حالما ينتقل الإنسان من طور المعرفة العادية والاستعمال اليومي الشائع إلى معناه وراء ذلك، أو لنقل المعنى الفلسفي، يجد نفسه في متاهة^(١).

الدولة:

يتساءل الكثير عن ماهية مفهوم الدولة بعيداً عن الدلالات اللغوية، وصار هذا المفهوم محل جدل كبير بين أرباب السياسة والقانون والفقهاء على مر العصور، وقد انبثقت عدة مفاهيم للدولة من الواقع الذي يجسده البناء الخارجي لها ولا زال ينتقل بين المثالية وأقصى المادية.

وتعتبر الدولة منذ نشأتها الحديثة في أعقاب مؤتمر وستفاليا^(٢) إحدى حقائق الحياة السياسية المعاصرة التي رسخت تدريجياً النظام الدولي الراهن.

١. الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم - حسام الدين الألوسي: ص ١٧.

٢. معاهدة وستفاليا: اتفاقية وقعت عام ١٦٤٨ م لإنهاء حرب دامت (٣٠) سنة في ألمانيا، ومثلت نقطة تحول في تاريخ أوروبا، وفتحت عهداً جديداً لقيام الدول الحديثة. [راجع صلح وستفاليا لعدي محسن غافل، مجلة أهل البيت ﷺ: العدد ١٨].

وبالرغم من اعتبار الدولة مؤسسة عالمية ضرورية، إلا أن تعريفها واسع ومتنوع لا يكاد يجتمع عليه اثنان، بل ويمكن أن يقال إن إيجاد تعريف واحد لمفهوم الدولة هو صراع أيديولوجي بحد ذاته، كون التعاريف المختلفة ناتجة عن نظريات مختلفة لوظيفة الدولة^(١).

وإذا كان لا يمكن تحديد مفهوم الدولة، فقد يمكن فهمها من خلال مكوناتها، فأغلب فقهاء السياسة يجمعون على أن مكونات الدولة الأساسية هي الشعب والأرض والسيادة، بالإضافة إلى عدد آخر من المكونات.

ولعل أول من استعمل هذا المفهوم بماله من الدلالة على معناه المتداول، هو المفكر الإيطالي (نيقولو ماكيافلي) حيث عبر عنها في كتابه الأمير (كلها دول وهي إما جمهوريات أو إمارات)^(٢).

وإن كان الإنصاف يقتضي أن مصطلح الدولة من المصطلحات المتداولة قديماً وإن وقع اختلاف في سعته، فمسألة حمورابي والدولة الفارسية القديمة والرومية كذلك كان لها نظام وقضاء وقانون، فعناصر الدولة موجودة، وكذلك ورد التعبير عنها في بعض الروايات من قبيل: «دولتنا آخر الدول»^(٣). وقد عبر عن مفهوم الدولة عملياً في إطار عدة نظريات للحكم.

ومن بين أبرز نظريات الحكم التي تشكل عنصراً آخر من عناصر الدولة المتقدمة، نظرية الحكم الذي يستمد الحاكم فيه أحقية الحكم، بوصف مطلق من الله تعالى وقد أفرد لهذا المعنى من الحكم دراسات مفصلة ومعقدة تناولت أدق تفاصيله، والخلاصة التي تعيننا من ذلك هي أن مفهوم الدولة

١. مفهوم الدولة - مقال منشور في الموسوعة السياسية - أ. د. حسن نافعة، ود. هادي الشبيب، ود. رضوان يحيى.

٢. الدولة فلسفتها وتاريخها - محمود حيدر: ص ٢٦.

٣. الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٤٧٢، ح ٤٩٣.

الذي نتحدث عنه في هذه الدراسة محدد سلفاً ويعني بالتحديد (الحكومة التي تستمد شرعيتها من الله تعالى وفق معايير ثابتة ومحددة).

المهدوية:

لم أجد فيما تتبعت تحديداً واضحاً للمهدوية، وحتى من أراد أن يعرف بالمهدوية مفاهيم أخرى لم يتطرق إلى تعريف هذا المفهوم، نعم رأيت من يعنون هذا المفهوم لعدد من الأبحاث، كالبحث عن الإمام عليه السلام وصفاته وأدلة ولادته وغيبته وعلامات ظهوره، وهكذا فجاءت عبارة (المهدوية هي الاعتقاد بالإمام المهدي عليه السلام) أو (مواصفات الشخصية المهدوية) أو (عقيدة المهدوية) أو (الثقافة المهدوية) أو (المهدوية في الفكر الإسلامي أو في الفكر المسيحي أو غيره من الأديان) أو (القضية المهدوية) أو (المهدوية والديمقراطية) ومفاهيم حدثوية أخرى أو (المهدوية ونقد الشبهات) أو (المهدوية والغيبة) وعناوين أخرى من قبيل العلامات أو الرجعة أو غيرها، أو (أدعياء المهدوية) أو (الدولة المهدوية) أو (فلسفة المهدوية) أو (الحركة المهدوية) أو (الحركات المهدوية الضالة) أو (المهدوية في التاريخ).

وللقيام بتحديد مفهومي تتجلى من خلاله صورة واضحة لهذا المفهوم (المهدوية) لابد من دراسة أولية عن علاقة هذا المفهوم بمفاهيم أخرى كمفهوم (العدل) و(الإمامة) و(الغيبة) و(آخر الأئمة) و(نهاية التاريخ) و(العلامات) و(الخلاص) و(المنجي).

ثم فصل دلالات هذه المفاهيم منفردة وملاحظتها مجتمعة.

إن التعريف - كما هو ليس بخفي - هو ذكر كل ما يمت بصلة لتوضيح المفهوم واستجلاء صورته، وهو من أهم الخطوات التي ينبغي القيام بها في

دائرة تنقيح المفاهيم، ولعله يعسر علينا تحديد هوية المفهوم بما هو هو، فلجأ إلى ملاحظة موارده، فإن تم ضبطها أمكن تقديم صورة أكثر وضوحاً عنه.

إن رسم صورة واضحة عن مفهوم (المهدوية) في ذهن السامع يتوقف على إعطاء معنى محدد من خلال الصفات والخصائص والأفراد واللوازم التي له، كما ومما يسهم في إيضاحه أكثر إجراء عملية مقارنات بينه وبين عدد من المفاهيم الأخرى المرادفة أو المضادة له.

ولسنا بصدد تعريف حقيقي لمفهوم (المهدوية أو ما يرادفها)، فإن أمثال مفهوم (الوجود) و(العدالة) و(الحرية) وغيرها لازالت محل نقاش، فكيف به هو. وهنا لابد من الإشارة أن الحديث عن (المهدوية) يختلف باختلاف الأغراض والموضوعات، فمثلاً:

١ - عند الحديث عن (المهدوية) بلحاظ النسب فإننا نتحدث عن شخص قد ولد ويحمل نسباً معروفاً، فلا يوجد تشكيك في انطباق هذا المفهوم ووضوح تحديده لما توافرت من أدلة قاطعة على ذلك.

فالمهدوية في دائرة الانتساب واضحة، نعم هي مختلفة باختلاف المذاهب التي نعتمد عليها في الأدلة، فأدلة إثبات النسب من جهتنا تنتهي إلى نتيجة مغايرة لما ينتهي إليه الآخرون مذهبياً أو دينياً.

فيكون البحث عن المهدوية في هذه الدائرة ضيقاً.

٢ - عند الحديث عن (المهدوية بمعنى المخلص والمنقذ) من لحاظ الأهداف وما تقدمه للبشرية، حيث يبدو أن الحديث عنها في أفق واسع نشترك فيه مع غيرنا دينياً وإنسانياً، فالمذاهب الإلهية والبشرية برمتها تحدثت عن تلك النهاية المنتظرة للبشرية، فالمهدوية في هذه الدائرة تأخذ تعريفها من مختلف النصوص الدينية.

وهكذا تختلف التعريفات باختلاف الموارد والأغراض.

وغرضنا هنا هو البحث عن المهدوية من زاوية الدولة المهدوية المنتظرة، ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نعرف المهدوية بأنها (دولة وحكومة الإنسان الإلهي الأخير).

وبذلك يتبين لنا أن معنى عنوان البحث هو:

(وقت الانتقال إلى زمان الإنسان الإلهي الأخير).

وحيث إنه كان منتظراً منذ آلاف السنين وعندنا بما يزيد على (١١٨٠) سنة.

كان وقت بقاءه - حسب النصوص والواقع - قليلاً بالقياس إلى فترة غيابه وانتظاره، فنشأ من ذلك إشكالية محصلها أن البشرية تنتظر مخلصاً لآلاف السنين فهل من الإنصاف أن يحكم لسنوات محدودة وقليلة؟! وهو ما نحاول الإجابة عنه ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى: انقسامات الزمان:

يعد التقسيم من الآليات المعرفية لبيان حقيقة المفهوم من خلال ضبط أقسامه، ولكثرة الدلالات التي يحملها مفهوم الزمان عسر على المهتمين به تعريفه، مما دعاهم إلى تقسيمه تسهيلاً لضبطه، ومما ذكره له من تقسيمات^(١):

١ - الزمان اللغوي وهو من المقولات العرفية والنحوية والمعجمية الدلالة التي لا يمكن لأي لغة من اللغات الاستغناء عنها^(٢).

١. مفهوم الزمان بقلم (جان كامبفر) و(رافائيل ميشيلي) - ترجمة د. حبيب إلياس حديد، بتصرف.

٢. الزمن في اللغة العربية - أ.د. عبد الحميد النوري عبد الواحد - مقال منشور في مجمع اللغة العربية على الإنترنت.

٢ - الفهم السردى للزمان هو حقيقة سيالة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على الشخصيات والمكان، وهو خيط وهمي مسيطر على كل الأنشطة والأفكار^(١)، والذاتي منه هو نتاج حركة الأفراد، أمّا الموضوعي فهو نتاج حركة الكواكب^(٢).

بينما أنكر آخرون تقسيم الزمان فضلاً عن تعريفه، لأنه وهمي فهو ليس سوى أداة ناجمة في بعض النماذج الفيزيائية، هذا ما قاله (ستيفن هوكينغ)، فيما قال (لي سمولن) إن معظم الفيزيائيين يعتبرون أن عبور الزمن من ماضٍ إلى حاضر فمستقبل هو عبور وهمي^(٣).

النقطة الثانية: الزمان في الفكر الإنساني:

اهتمام الإنسان بالزمان قديم بقدم وجوده حتى عُدَّ عند بعضهم إلهاً، وذكر بعض القدماء أن الزمان هو دوران الفلك، وهكذا قال بعض قدماء الفلاسفة، فيما قال المتكلمون إنَّه تقدير الحوادث بعضها ببعض^(٤) ولأجل استيضاح الصورة نذكر أقوال الفلاسفة والمتكلمين والتجريبيين.

تعددت المذاهب الفلسفية بين من ينكر الزمان ومن يقبل به واختلفوا في تحديده^(٥) على مذاهب عديدة، ومن أقوالهم في ذلك:

١. التصور العام للزمن - مقال منشور في (uobabylon.edu.iq) بتصرف؛ وينظر أيضاً: الزمن أعقد

المفاهيم - نبيل حاجي نايف - مقال في موقع الحوار المتمدن (m.ahewar.org)، بتصرف.

٢. الزمان الدلالي دراسة لغوية لفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية - كريم زكي حسام الدين، بتصرف.

٣. فلسفة الزمن وعلوم الفيزياء - حسن عجمي - موقع (almayadeen.net).

٤. كتاب الأزمنة والأمكنة - المرزوقي الأصفهاني: ص ١٠٣.

٥. نهاية الحكمة - السيد محمد حسين الطباطبائي: ج ٢، ص ١١٥، هامش رقم ١، تحقيق عباس علي الزارعي السبزواري.

قول أفلاطون أن الزمان جوهر أزلي^(١) وأنه يتصل بالمتحركات، وقد أثار هذا التعريف لدى من تأخر عنه المشاكل بل اختلفوا في قوله في تعريف الزمان^(٢) وقد وافقه الرازي من المتكلمين وأبو البركات البغدادي وجماعة. أمّا أرسطو فالزمان عنده (عدد الحركة من قبل المتقدم والمتأخر)^(٣)، وقد وافقه ابن سينا وابن رشد وجماعة.

أمّا عند صدر المتألهين فهو مقدار الحركة وهو الزمان العام^(٤) وقد نحى جملة الفلاسفة ممن تأخر عنه منحاه، أمّا المتكلمون من المسلمين فقد تقدم أن معناه عندهم تقدير الحوادث بعضها ببعض^(٥) يقول الشيخ المفيد^(٦): (القول في الوقت والزمان: وأقول: إن الوقت هو ما جعله الموقت وقتاً لشيء وليس بحادث مخصص، والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفلك محتاجاً في وجوده إلى وقت ولا زمان وعلى هذا القول ساير الموحدين).

أمّا عند الفلاسفة الغربيين فإن الزمان عند ديكارت ليس له وجود موضوعي إنما من تأليف العقل وأيده (جون لوك)، كما أنكر (ديفيد هيوم) أن يكون للزمان واقع خارجي وعليه فإن فكرة الزمان تكون مشتقة من تعاقب إدراكاتنا لكل نوع، وعلى خطى (هيوم) يسير (عمانوئيل كانط) إذ يرى أن الزمان من خلق العقل، ويرى (كانط) أن الزمان ليس جوهرًا أو عرضًا، وهو ليس أكثر من كونه حدساً عقلياً فيما قال (إسحاق نيوتن) إن الزمان

١. الزمان بين الفلاسفة والمتكلمين - د. أرزاق فتحي أبو طه: ص ٣٠٨.

٢. الزمان في الفكر الديني والفلسفي - حسام الألوسي: ص ١٠٨.

٣. الزمان في الفكر الديني والفلسفي - حسام الألوسي: ص ١٢٢.

٤. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة - صدر الدين الشيرازي: ج ٤، ص ١٨٠؛ وراجع أيضاً النظام

الفلسفي للحكمة المتعالية - عبد الرسول عبوديت: ص ٣٥٩.

٥. الأزمنة والأمكنة - الرزوقي: ص ١٠٣.

٦. أوائل المقالات - الشيخ محمد بن النعمان العكبري المفيد: ص ١٠٠.

وجود موضوعي حقيقي منفصل عن المادة وعن المكان فيما رفض (آينشتين) نظرية (نيوتن) حيث استنتج نسبية الزمن يقول (ستيفن هاكونغ): (إن النظرية النسبية قد غيرت جذرياً أفكارنا عن الزمان والمكان)^(١)، وها أنت تلاحظ أن مفهوم الزمان قد تطور تطوراً هائلاً حتى أصبح من أكثر المفاهيم المعرفية تعقيداً^(٢).

النقطة الثالثة: الزمان في الفكر الديني:

تحدثت الأديان عن الزمان وجاء ذكره في الموروث الديني من آيات وروايات، وفيما يلي نتناول هذا المفهوم في الديانات السامية الثلاث:

في اليهودية:

يقول الدكتور (هزبرت لوي) أستاذ اللغة العبرية في جامعة اكسفورد: إن اليهودية تقوم على أساسين، هما: وحدانية الله واختيار إسرائيل^(٣): (إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب...) (التثنية - ٧: ٦).

وهم ينتظرون تحقق ذلك على يد (ابن الإنسان) وجاءت أوصافه في أشعيا (٩: ٦): (تكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً، ويكون إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام، ولنمو رياسته يجلس على كرسي داوود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد)، ويقول في (أشعيا: ١١): (ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم)

١. الزمان قراءة تحليلية موجزة - د. عماد الدين الجبوري، بتصرف.

٢. مفهوم الزمن بين صدر المتألهين الشيرازي وأينشتاين - علي أحمد الشيخ، بتصرف.

٣. اليهودية - الدكتور أحمد شبلي: ص ٢١٠.

ويكون محله مجداً)، وبطبيعة الحال فإن تحقيق هذا الهدف المنشود وانتظار هذا المخلص فتح الباب لبعض اليهود لهذا الادعاء حيث سجل التاريخ أخبار مسيح كذاب بين فترة وأخرى، وليس جميع اليهود يؤمنون بذلك، فالصدوقيون منهم ينكرون عودة المسيح ولا يترقبونه.

وإذا تابعنا نصوص الزمان في التوراة نجدها حافلة بذكره حيث سجل سفر التكوين في أوائل آياته حديثاً مفصلاً عن الزمان وأول خلق الكون حيث ذكر قصة بدء الخلق وزمان ما خلق (التكوين ١: ١ - ١٩).

وفي المزامير (٩٠: ٤): (لأن الألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر، وكهزيع من الليل).

وجاء في سفر يشوع (١٨: ٨): (عدة أيام الإنسان على الأكثر مائة سنة كنقطة ماء من البحر وكذرة من الرمل هكذا سنون قليلة في يوم الأبدية).

فأنت تلاحظ أن مفهوم الزمان في هذه النصوص (سفر التكوين بالخصوص)^(١) يتكلم عن خلق العالم في ستة أيام واليوم بحسب عالمنا المعروف وجد في اليوم الرابع بعد صنع الكواكب فما هو معنى اليوم ومعنى الأيام الستة؟

عبر (أوغسطين) أن هذا سر لا يمكن معرفته لأحد^(٢).

نعم نجد في سفر المزامير المتقدم أن اليوم يعادل ألف سنة.

١. الآيات تتحدث عن بدء خلق الله تعالى للسموات والأرض حيث فصل بين النور والظلام بعد خلقه، وذكر أنه في يوم ثم خلق الماء وفصلهما عن السماء وكان يوماً آخر، ثم خلق الأرض وكان يوماً ثالثاً، ثم خلق بعد ذلك الليل والنهار والزمان.

٢. الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم - د. حسام الألوسي: ص ٣٩.

الكتابات اليهودية الأخرى تقدم (المسيا) على أنه الرئيس الخاص لليهود يقيم مملكة مثالية على الأرض وحسب الكتاب الرابع من (Esdras)^(١) يمتد المسيا إلى ٤٠٠ عام، أما كتاب أسرار أخنوخ فيرى أن ملكه يمتد إلى (١٠٠٠ عام)^(٢).

في المسيحية:

تعتقد المسيحية أن يسوع الذي ينتظره اليهود هو نفسه ابن مريم الذي صلب تكفيراً عن خطايا العالم، ثم قام من بين الأموات ورفع إلى السماء، بعد أن وعد المؤمنين به، أنه سيعود في آخر الزمان، وأن لمجيئه الثاني علامات تحدث عنها الأنجيل المختلفة وأن الإنجيل سوف يبشر به في كل أنحاء العالم: (وينبغي أن يركز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم) (مرقس ١٣: ١٠) وقد تحدثت جملة من الآيات عن المجيء الثاني للمسيح، ففي إنجيل (متى ٢٣ - ٢٧): (لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان).

يقول (القمص تادرس): (سيأتي السيد المسيح من السماء على صوت رئيس الملائكة وصوت البوق، والأموات سيقومون)، ويقول أيضاً: (هذا وتحقق الأسخاتولوجيا^(٣) بالنسبة للإنسان ليس فقط في نهاية الزمان)^(٤)، ويقول في موضع آخر: (جاءت العبادة الكنيسية في العصر الرسولي أخروية،

١. كتاب نهاية العالم من الكتاب المقدس - تأليف عزرا.

٢. الأخرويات في الكتاب المقدس وفي الفكر اليهودي - القمص تادرس يعقوب ملطي: ص ١٦٩.

٣. الأسخاتولوجيا علم آخر الزمان: هي جزء من اللاهوت والفلسفة يهتم بما يعتقد أنه الأحداث الأخيرة قبل نهاية العالم وتشمل مواضيع مثل المسيا واليوم الأخير، وترى المسيحية واليهودية أن نهاية الزمن كتكميل الله تعالى لخلق العالم.

٤. الأخرويات في الكتاب المقدس: ص ١٨١.

ففي العباد يعلن طالب العباد: (ونتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي)، وفي الأفخار سيتا تجتمع الكنيسة كلها حول المسيح القائم من الأموات لكي يتمتع المؤمنون بفكره وحياته المقامة، فيرتقبون بيقين تحقيق وعده بالمجيء الأخير^(١).

ويقول القديس كيرلس الاورشليمي في (قيامه الجسد في الكتاب المقدس)^(٢):
(لا تستغرب لتأخر العدالة... هكذا الله أيضاً مادام النزاع باقياً في هذا العالم يسحق العادلين ولو جزئياً، لكن بعدئذ يقدم لهم مكافئاتهم كاملة).

المعضلة الكبرى بين اليهود والمسيح:

من وجهة نظر الفرق الإنجيلية أن وقت الساعة توقف، وأعمال النبوءة تعطلت بوجود الكنيسة على الأرض وبارتفاعها واختطاف المؤمنين تبدأ النبوءة في السير من جديد مع الشعب اليهودي، وبناء عليه فإن الأسبوع الأخير من أسابيع دانيال لم يتم حدوثه حتى الآن، لأنه لو حدث لكان الشعب اليهودي متعبداً في بيت الرب وهو ما لم يتم إلى الآن، فهم ليسوا أسياد العالم بل تحت سيادته، ولكونهم شعب الله المختار - حسب اعتقادهم - فإن الله لا يحسب مع إسرائيل أي وقت لم يكن معترفاً بهم شعباً له، وجميع السنين التي مرت تعتبر مهدورة، وعندما يبدأ الأسبوع الأخير السبعين يتم الله مواعده لليهود الذي وعدهم به^(٣).

فما هو هذا الأسبوع الأخير؟ وما هي قصته عند اليهود والمسيح؟

يعبر عنه بـ (الضيقة العظيمة) أو (أسابيع دانيال السبعين) أو (الاختطاف السري).

١. الأخرويات في الكتاب المقدس: ص ١٨٢.

٢. مقال منشور في ضمن كتاب الأخرويات في الكتاب المقدس: ص ١٨٤.

٣. نبوءات نهاية العالم عند الإنجيليين - محمد عزت محمد محمد: ص ١٥٥.

الأصل في هذه القضية هي الآيات المعروفة في سفر دانيال (٩: ٢٤):
(سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية
وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي، ولتتم الرؤيا والنبوة،
ولمسح قدوس القدوسين).

فهذه النبوءة معضلة عظيمة حيث وقع خلاف كبير في تفسيرها
ومعرفة حقيقتها وحساب زمانها وبشكل مجمل فإنها تتحدث عن زمن محدد
وأحداث محددة قسم منها وقع وقسم آخر ينتظر وهي تناظر إلى حد كبير
مفهوم العلامات في العقيدة المهدوية.

متى يقع الأسبوع الأخير وتنتهي الضيقة؟

وبعبارة ثانية:

متى يأتي المسيح وكم يحكم؟

يقول أحد الكتاب ممن يفسر آيات الضيقة^(١): هذه الضيقة العظيمة
النهائية التي أشار إليها الرب: (لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن
مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون... وللوقت بعد ضيق تلك الأيام
تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات
السموات تتزعزع.

وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء.

وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويصرون ابن الإنسان آتياً على
سحاب السماء بقوة ومجد كثير.

١. مفهوم الضيقة العظيمة القس أشرف أبشاي.

فَيَرْسَلُ مَلَائِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمٍ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَّاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. (مت ٢٤: ٢١، ٢٩ - ٣١).

وواضح من كلام الرب ترتيب الأحداث: أولاً: الضيق العظيم، ثم بعده ثانياً: مجيء الرب على السحاب، ثم بعده ثالثاً: اختطاف المؤمنين، إذ يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، ويجمعون مختاريه).

ويقول آخر^(١): (بعد هر مجدون، سيُسجن الشيطان وأبالسته في المهواة ألف سنة. خلال تلك الفترة، سيكون الورثة السماويون المئة والأربعة والأربعون ألفاً قضاة ويملكون «مع المسيح ألف سنة». (رؤيا ١٤: ١ - ٣؛ ١٠: ٢٠ - ٤؛ روما ٨: ١٧)، خلال فترة الألف سنة تلك (سيدين يسوع المسيح الأحياء والأموات). (٢ تيموثاوس ١: ٤).

وفي مقام تفصيل تفسير الأسبوع الأخير يقولون^(٢): (يتفق جميع المفسرين تقريباً أن (الأسبوع) يجب تفسيره بأنه (سبع سنوات)، أي بكلمات أخرى، ٤٩٠ سنة. وتقدم هذه الآية (توقيتاً) بشكل ما، يعطينا فكرة عن موعد مجيء المسيا وبعض الأحداث التي تصاحب ظهوره... إن نبوة السبعين أسبوعاً مركبة ومفصلة بشكل عجيب، وقد كتب الكثير حولها. وتوجد بالطبع تفسيرات عديدة... يوجد أمر واحد مؤكد: الله لديه جدول زمني، وهو يقوم بتسيير الأمور في مواعيدها. فهو يعرف النهاية من البداية (إشعيا ٤٦: ١٠) وعلينا أن نكون دوماً منتظرين مجيء الرب المنتصر مرة ثانية (رؤيا ٢٢: ٧).

يقول البعض^(٣): (إنه بعد صلب المسيح توقفت ساعة السبعون أسبوعاً النبوية، أي أن هذه الثلاثة سنين ونصف لم تأت بعد. خصوصاً

١. موقع شهود يهوه الرسمي على الانترنت، JW.ORG.

٢. GotQuestions.org موقع مهتم بالكتاب المقدس.

٣. موقع الأنبا تكلاهيمانوت القبطي الأرثوذكسي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

أن (٣½) سنة = ٤٢ شهراً = ١٢٦٠ يوماً المذكورة في سفر الرؤيا. وهذا تفسير مقبول جداً.

وهذه المدة التي تتوقف فيها الساعة النبوية للسبعين أسبوعاً هي المدة التي أعطاها الله للبشرية لتدخل إلى الإيمان وتتأسس كنيسة المسيح السماوية، وهذه الفترة تبدأ بالصليب الذي به تم ربط الشيطان وتقييده. وتم التعبير عن هذه الفترة رمزياً بأنها ألف سنة (رؤ ٢٠: ١ - ٣) فرقم ألف يشير للسماويات. والكنيسة التي أسسها المسيح هي كنيسة سماوية (أف ٢: ٦ + في ٣: ٢٠). فالمسيح (طأطأ السموات ونزل) (مز ١٨: ٩) ليؤسس كنيسة سماوية، هو رأسها وهو عريسها السماوي. والكنيسة أبوها سماوي تصلي له وتقول (أبانا الذي في السموات). والكنيسة التي أسسها المسيح هي كنيسة واحدة سماوية، نصفها كنيسة متصرة هي الآن في الفردوس، والنصف الآخر هي كنيسة مجاهدة على الأرض وهي أيضاً سماوية).

والمتحصل من معنى الضيقة وتفسير الأسبوع الأخير:

إنهم يتفقدون على توقف الزمان ولا يعلمون كم الفترة التي ستمتد إلى أن تنتهي الضيقة وإن فرها بعضهم بالآلف سنة، وهي لم تتحقق، وهذا نظير ما يحصل عندنا من توقيت، ونظير ما يأتي من تطبيق نقله ابن حماد في كتابه الفتن.

في الإسلام:

المنظومة الدينية من القرآن الكريم والسنة الشريفة مشحونة بالحديث عن الزمن والزمان ومن تلك الآيات الكثيرة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ

مِنْ دُونِهِ مَنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ
ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (السجدة: ٤-٦).

وأما الروايات فهي كثيرة ومتنوعة، وسيأتي الحديث عن الروايات
الشريفة التي تناولت الزمان فيما يرتبط ببحثنا.

النقطة الرابعة: روايات عمر دولة الإمام عليه السلام ودلالاتها:

وردت عدّة روايات في تحديد مدّة ملك الإمام عليه السلام على اختلاف بينها في
مدّة ملكه، ومنها:

أولاً: ما روي من طُرُق العامّة، وهي عديدة، نذكر منها:

١ - «سبع، ثمان، تسع»^(١): ففي الفتن لابن حماد: (...) عن أبي سعيد عن
النبي ﷺ [قال: يملك المهدي سبع ثمان تسع سنين.

٢ - «سبع سنين» في سنن أبي داود^(٢): حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ تَمَّامٍ بْنِ بَزِيعٍ،
حَدَّثَنَا عِمْرَانُ الْقَطَّانُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجَلِي الْجُبْهَةِ، أَقْنَى الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ
قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ».

كما ويحتمل في بعض الروايات إرادة السبعة أو السبعين، ففي المستدرک^(٣):
قال رسول الله ﷺ المهدي منا أهل البيت أشم الأنف أقنى أجلى يملأ الأرض
قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعيش هكذا - وبسط يساره وإصبعين
من يمينه المسبحة والإبهام وعقد ثلاثة -». هذا حديث صحيح على شرط
مسلم ولم يخرجاه.

١. الفتن، نعيم بن حماد المروزي، ص ٤٢٠.

٢. سنن أبي داود (ط دار الحديث قاهرة)، ج ٤ سليمان بن الأشعث السجستاني، ص ١٧٦.

٣. المستدرک، ج ٤، الحاكم النيسابوري، ص ٥٥٧.

٣ - «عشرين سنة» في مجمع الزوائد^(١): (فقال رجل من عبد القيس

يقال له المستورد بن حسلان: يا رسول الله، من إمام الناس يومئذٍ؟ قال: «من ولدي ابن أربعين سنة كأن وجهه كوكب دري في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بني إسرائيل، يملك عشرين سنة يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك».

وكذا ما رواه السيد ابن طاووس^(٢) عن رسول الله ﷺ نقلاً عن سنن الداني وبعضه عن الفتن لابن حماد وكنز العمال وهو ياثل ما تقدم عن مجمع الزوائد.

فالرواية وإن كانت في كتبنا إلا أنها من طُرُقهم.

ثانياً: من طُرُقنا، وهي عدة روايات^(٣)، منها:

١ - سبع سنين: في الإرشاد^(٤): (... روى عبد الكريم الخثعمي، قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم عليه السلام؟ قال: «سبع سنين، تطول له الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنه مقدار عشر سنين من سنينكم، فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنينكم هذه».

١. مجمع الزوائد، ج ٧، الهيثمي، ص ٣١٩

٢. التشریف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ﷺ)، السيد ابن طاووس: ص ٢٨١.

٣. من المناسب التعرض للبحث السندي لجميع الروايات والاعتماد على ما هو معتبر منها دون غيرها، وحيث إن أغلبها من المراسيل أو يقع في طريق روايتها المجاهيل، فإننا نبعتها بناء على فرض صدورها ولو بناء على مبنى من يقول: إن ورود الخبر في المجاميع الحديثية مع عدم معارضته لقواعد العقل وآيات القرآن الكريم والسنة القطعية فإن احتمال صدوره يكون قريباً، فضلاً عما إذا كان بعيداً عن أجواء التقية، وموارد الوضع والدس، وقد يقال هذا في موردنا.

٤. الإرشاد - الشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣٨١.

٢ - سبعون سنة: حسب النص المتقدم مع ملاحظة اختلاف الحساب، وتصريح الإمام عليه السلام بأنها (٧٠) سنة.

ولعل هذا البيان بهذه الطريقة يساعد في الكشف - ولو على مستوى الاحتمال - عن أن المقصود من الزمن المذكور ليس هو التحديد بالمعنى الحقيقي للتحديد، وبالإضافة إلى الاختلاف الآتي في تحديد المدة قد يحصل الميل في النفس إلى أن ما قيل من أرقام في تحديد مدة ملكه عليه السلام ليست في مقام التحديد الحقيقي، وستأتي وجوه الجمع بين الروايات.

٢ - تسع عشرة سنة وأشهر: أفرد لها الشيخ النعماني^(١) باباً هو الباب (٢٦)، روى فيه (٤) روايات كلها حددت (١٩) سنة وأشهرًا.

فالأولى رواه بسنده عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «يملك القائم عليه السلام تسع عشرة سنة وأشهرًا»، والثانية والرابعة مثلها.

وأما الثالثة فهو ما رواه بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: «والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعاً»، قال: فقلت له: ومتى يكون ذلك؟ قال: «بعد موت القائم عليه السلام»، قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت؟ فقال: «تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته».

٣ - أربعون سنة: في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٢): «... ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقى كافر إلا آمن به ولا صالح إلا صلح، ويصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وينزل السماء بركتها،

١. الغيبة - ابن أبي زينب النعماني: ص ٣٥٣.

٢. الاحتجاج - أحمد بن علي الطبرسي: ج ٢، ص ١١.

وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبى لمن أدرك أيامه، وسمع كلامه...».

٤ - ثلاثمائة وتسع سنين، رواه شيخ الطائفة عليه السلام ^(١): بسنده عن أبي الجارود

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن القائم يملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمد صلى الله عليه وآله، يسير بسيرة سليمان بن داود»، تمام الخبر.

وقد تحمل هذه الرواية على الرجعة بقرينة عدّة روايات ^(٢).

٥ - مدة طويلة: وهي مضمون بعض الروايات والأدعية، ومنها:

* في كمال الدين ^(٣): عن عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي ابن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد ابن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن - أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ... وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني، ولأعلن بهم كلمتي، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذلن له الرقاب الصعاب ولأرقينه في الأسباب، ولأنصرنه بجندي، ولأمدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة. والحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً».

١. الغيبة، الشيخ الطوسي: ص ٥٠٢.

٢. عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: «والله ليملكن رجل منا

أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعاً»، قال: فقلت له: ومتى يكون ذلك؟ قال:

«بعد موت القائم عليه السلام... [الغيبة للنعماني: ص ٣٥٤، باب ٢٦ ما روي في مدة ملك القائم، ح ٣].

٣. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص ٢٨٦.

* ما رواه الشيخ المفيد رحمته الله ^(١): ... وروى المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قائمنا إذا قام أشرف الأرض بنور ربها، واستغنى الناس عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أنثى، وتظهر الأرض كنوزها حتى يراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بهاله ويأخذ منه زكاته، فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك، استغنى الناس بما زرقهم الله من فضله».

* وقد استفاد ذلك مما رواه السيد ابن طاووس رحمته الله ^(٢): ما ذكره جماعة من أصحابنا، وقد اخترنا ما ذكره ابن أبي قررة في كتابه، فقال بإسناده إلى علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن محمد بن عيسى بن عبيد، بإسناده عن الصالحين عليهم السلام قال: وكرر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان قائماً وقاعداً وعلى كل حال، والشهر كله، وكيف أمكنك، ومتى حضرك في دهرك، تقول بعد تمجيد الله تعالى والصلاة على النبي وآله عليهم السلام: «اللهم كن لوليك، القائم بأمرك، الحجة، محمد بن الحسن المهدي، عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام، في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً وقاعداً، وناصراً ودليلاً ومؤيداً، حتى تسكنه أرضك طوعاً، وتمتعه ^(٣) فيها طويلاً وعرضاً، وتجعله وذريته من الأئمة الوارثين...».

ورواها الشيخ الكليني رحمته الله في الكافي ^(٤): محمد بن عيسى بإسناده عن الصالحين عليهم السلام قال: «تكرر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان هذا الدعاء ساجداً وقائماً وقاعداً وعلى كل حال وفي الشهر كله وكيف أمكنك ومتى حضرك من دهرك تقول بعد تحميد الله تبارك وتعالى والصلاة على

١. الإرشاد - الشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣٨١.

٢. إقبال الأعمال - السيد ابن طاووس: ج ١، ص ١٩١.

٣. في التهذيب للشيخ الطوسي: ج ٣، ص ١٠٣، ح ٢٦٥ / ٣٧ ورد: (وتمكنه).

٤. الكافي - الشيخ الكليني: ج ٤، ص ١٦٢.

النبي ﷺ: اللهم كن لوليك فلان بن فلان في هذه الساعة، وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وناصراً ودليلاً وقائداً وعوناً (وعيناً) حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً».

٦ - مدة مرموزة وغير معلومة: في تفسير علي بن إبراهيم^(١): أحمد بن علي وأحمد بن إدريس معاً، عن محمد بن أحمد العلوي عن العمركي، عن محمد بن جمهور، عن سليمان بن سماعة، عن عبد الله بن القاسم عن يحيى بن ميسرة الخثعمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿[حم] ﴿عسق﴾ عداد سني القائم و﴿ق﴾ جبل محيط بالدنيا من زمرد أخضر فخضرة السماء من ذلك الجبل...﴾.

وجوه الجمع بين الروايات:

١ - مدة ملكه باختلاف مراتب ظهوره وملاحظة عناصر استتباب الأمر له، وهذا الاختلاف نظير ما رواه الشيخ الكليني عليه السلام^(٢): عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَجَدْتُهُ مُتَفَكِّراً يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا لِي أَرَاكَ مُتَفَكِّراً تَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، أَرَغَبَةً مِنْكَ فِيهَا؟ فَقَالَ: «لَا وَاللَّهِ مَا رَغِبْتُ فِيهَا وَلَا فِي الدُّنْيَا يَوْمًا قَطُّ، وَلَكِنِّي فَكَّرْتُ فِي مَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ ظَهْرِي، الْحَادِي عَشَرَ مِنْ وَلَدِي هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مِلَّيْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا تَكُونُ لَهُ غَيْبَةٌ وَحَيْرَةٌ يَضِلُّ فِيهَا أَقْوَامٌ وَيَهْتَدِي فِيهَا آخَرُونَ»، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَمْ تَكُونُ الْحَيْرَةُ وَالْغَيْبَةُ؟ قَالَ: «سِتَّةَ أَيَّامٍ أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَوْ سِتَّةَ سِنِينَ»، فَقُلْتُ: وَإِنَّ هَذَا لَكَائِنْ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كَمَا أَنَّهُ مَخْلُوقٌ - وَأَنْتَى لَكَ بِهَذَا الْأَمْرِ يَا أَصْبَغُ، أُولَئِكَ خِيَارُ هَذِهِ

١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥٢، ص ٢٨١.

٢. الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٣٣٨، باب في الغيبة، ح ٧.

الْأُمَّةَ مَعَ خِيَارِ أَبْرَارِ هَذِهِ الْعِثْرَةِ»، فَقُلْتُ: ثُمَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «ثُمَّ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فَإِنَّ لَهُ بَدَاءَاتٍ وَإِرَادَاتٍ وَغَايَاتٍ وَنَهَايَاتٍ».

فإنَّ الترديد في الستة أيام إنما يكون بلحاظ اختلاف المراتب أو على وقوع البداء فيه، أو زمان وقوع الحيرة فيه ثم ترتفع الحيرة وتبقى الغيبة^(١).

٢ - هذه المدة بلحاظ بسطه للعدل في المعمورة، فمدة ملكه وهو يسطر العدل لكذا بلد هي مثلاً سبعة سنوات، ولآخر تسعة، ولثالث تسعة عشر، وهكذا، أما مدة ملكة بلحاظ المجموع فهي المعني بها «وتمتعه فيها طويلاً»، والتي عبرت عنها رواية الشيخ المفيد عليه السلام: ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أنثى، فهذا تعمير الرجل في ملك القائم عليه السلام، أما ما هو ملكه وكم، فهذا ما لم تحدده الروايات.

أما مدة استمرار العدل بعد بسطه فغير محددة.

٣ - إنَّ هذه المدة حقيقية ولكن كل مدة معلقة على شيء إن حصلت وإلا فلا وهكذا، فهو يحكم سبعة إن لم تحصل الصدقة مثلاً أي تصدق الناس عنه وعن سلامته وحفظه وطول بقائه، فإن حصلت فتسعة، وهكذا التسعة معلقة على عدم شيء فإن حصل انتفت وجاءت التسعة عشر، وهكذا هي، فالمدة المذكورة تعليلية لا فعلية، ومما يؤيده وجود النصوص في الأديان الأخرى التي أعطت السعة في مدة ملك عيسى عليه السلام، وهو بحسب رواياتنا يخرج بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام:^(٢) قال أبو بصير: فقلت: يا بن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: «يا أبا بصير، هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإماء، يغيب

١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ج ٥١، ص ١١٩.

٢. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٣٧٥.

غيبه يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله ﷻ فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم ﷺ فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنور ربها...».

٤ - الحمل في هذه المدد على أنها قبل الرجعة، أمّا بعد الرجعة فالمدد مختلفة، وقد دلت عليها العديد من الروايات، فإذا رجحنا رواية الـ (٧٠) مثلاً، فإنها تعني مدة حكم الإمام ﷺ قبل الرجعة، نعم يمكن الاستعانة لتتيمم هذا الوجه ببعض ما تقدم، فنقول: إن مدة حكمه قبل الرجعة مختلفة أيضاً حسب أحوال الدولة والمعارك، وبعضها ناظر إلى احتساب المدة من أول الظهور إلى الرجعة، وبعضها ناظر إلى خصوص فترة استتباب الأمر وهكذا. والقرينة من الروايات المتقدمة على أن هذه المدد قبل الرجعة ما ورد: (وكم يقوم القائم ﷺ في عالمه حتى يموت)؟ فإن هذا المقطع يتحدث عن ملكه قبل حصول الرجعة.

وما ورد في الرجعة^(١): عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال: «قال: الحسين بن علي ﷺ لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله ﷺ قال لي: يا بني، إنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقى فيها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى عموراً، وأنت تستشهد بها يستشهد جماعة معك من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد، وتلي يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم، فأبشروا فوالله لئن قتلونا فإننا نرد على نبينا ﷺ ثم أمكث ما شاء الله، فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين ﷺ وقيام قائمنا ﷺ وحياة رسول ﷺ، ثم لينزلن على وفد من السماء من عند الله ﷻ لم ينزلوا إلى الأرض قط، ولينزلن

١. مختصر بصائر الدرجات - حسن بن سليمان الحلي: ص ٤١.

إلى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وجنود من الملائكة ولينزلن محمد وعلي وأنا وأخي وجميع من من الله عليه...».

٥ - إن الروايات حددت المدد المذكورة، ولكن ما هي سعة المدة؟ فمسكوت عنه، نعم صرحت بعض الروايات فيها كالتي قالت السنة بعشرة، فالروايات تحدد المدة ولكن مقاس المدة ما هو أو قل سعة المدة ما هو حجمها، فمسكوت عنه، بل قد يظهر من بعض الروايات وفي خصوص ما يرتبط بقضية الإمام المهدي عليه السلام أن احتساب المدة سيختلف وسيتجلى هذا الاختلاف على هيئة الإمام عليه السلام ومظهره، حتى عُدَّ من علاماته المميزة له عليه السلام أنه لا يظهر بعمره الحقيقي، فقد روى الشيخ الصدوق: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمته الله قال: حدثنا أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: «علامته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتى يأتيه أجله»^(١).

فالحديث الشريف يصرّح بأن من علامات ظهوره أن الناظر إليه يراه ابن أربعين سنة، مع أنه قد مضى عليه مئات السنين من حيث احتساب المدة، فالآثار التكوينية المترتبة على الزمان قد توقفت، وهذا معناه إمكانية التوقف في احتساب الزمان، فلعل زمان ظهوره وحكمه المحدد بالسبعة هو نظير ما مرَّ عليه من عمر طويل مع أنه ينظر إليه ابن أربعين، فالسبعة أي المنظور إليها.

ونظير هذا في بحث الضيقة والسبعة أسابيع أن اليهودية والمسيحية تذهب لذلك، كما أن الآية التي ذكرناها تصرّح أن المدد والسنوات لها قياسات مختلفة فقياس اليوم عندنا يختلف عن قياسه بالنسبة لله تعالى.

١. كمال الدين وقام النعمة - الشيخ الصدوق: باب ٥٧، ص ٦٥٢، ح ١٢.

كما وتقدم في بيان معنى الزمان ما يساعد على ذلك لو قبلنا أن معنى الزمان مختلف، فمع فرض خروج الشمس من المغرب فإن تقديرات الزمان المرتبطة بالكواكب وحركتها حول الشمس ستختلف جزمًا، فلعل المدد المذكورة هي المدد بعد حصول التغيير، ومما أشارت له الروايات من التغيير ما ورد من تبدل النظام والسموات وخروج الشمس من مغربها، فإن تبدل النظام يستدعي تغير المدة، والروايات ذكرت المدد السابقة مع النظر حالة تغير النظام والذي بموجبه تكون السنة سعتها كثيرة كالعشرة أو المائة أو الألف، ومنها:

* ما في الإرشاد^(١): ... عن أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: خروج السفيناني من المحتوم؟ قال: «نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربها محتوم، واختلاف بني العباس في الدولة محتوم، وقتل النفس الزكية محتوم، وخروج القائم من آل محمد محتوم، قلت له: وكيف يكون النداء...».

* ما في كمال الدين^(٢): عن أبي جعفر عليه السلام قال: «اثنان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر لخمس، وكسوف الشمس لخمس عشرة [و] لم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين».

* ما في الغيبة^(٣): ... عن حبيب بن محمد بن محمد بن شاذان الصنعاني، قال: دخلت إلى علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، فسألته عن آل أبي محمد عليه السلام فقال: يا أخي لقد سألت عن أمر عظيم... «والله مولاكم أظهر التقية فوكلها بي، فأنا في التقية إلى يوم يؤذن لي فأخرج»، فقلت: يا سيدي، متى يكون هذا الأمر؟ فقال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة، واجتمع

١. الإرشاد - الشيخ المفيد: ج ٢، ص ٣٧١.

٢. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٦٨٥.

٣. الغيبة - الشيخ الطوسي: ص ٢٩١.

الشمس والقمر، واستدار بهما الكواكب والنجوم»، فقلت: متى يا بن رسول الله؟ فقال لي: «في سنة كذا وكذا تخرج دابة الأرض (من) بين الصفا والمروة، ومعه عصا موسى وخاتم سليمان، يسوق الناس إلى المحشر».

٦ - الترديد إشارة إلى خضوع ما لم يقع إلى البدء، كما ورد في السفيناني مع أنه من المحتوم، إلا أنه خاضع للبدء، فجاء الترديد في مدة ملكه كناية عن إمكان وقوع البدء فيه، ومما ورد في قضية السفيناني:

في الغيبة^(١): ... حدثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفيناني، وما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر: هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم»، قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم. فقال: «إن القائم من الميعاد، والله لا يخلف الميعاد».

٧ - إن هذا الترديد لا معنى له واقعاً، لجزمنا بعلم الأئمة عليهم السلام بالمدة الواقعية، ولعل حكمة الترديد في الوقت وإعطاء أوقات مختلفة إما لأجل التعمية على الوقت الحقيقي، أو لأجل أن ذكر الوقت الحقيقي يصعب تعقله من قبل الناس، فذكر أهل البيت عليهم السلام ما يكون به عن الوقت وسعته بالترديد في المدة، فنحن نؤمن أنه سيحكم، أمّا كم سيكون حكمه؟ فهذا مما لا نعرفه بنحو الجزم واليقين.

٨ - إن دعوى وجود إشكالية في قلة مدة حكمه بالقياس إلى طول المظلومية منتفية من الأساس، فإن كان مظلوماً ومات، هل سيرجع ليرى الاقتصاص ممن ظلمه؟

فإن قلنا إنه سيرجع كما هو ظاهر روايات الرجعة، فإنه قد تقدم أن مدة الرجعة طويلة، وقد تزيد على عمر الدنيا.

وإن كان المظلوم لا يرجع، فلا يضره إن كان الحكم لدولة العدل قصيراً أم طويلاً.

وبذلك يتبين أن الإشكالية مما لا واقع لها وراء الألفاظ.

هذا كله فيما يرتبط بقيادة الإمام عليه السلام وقيامه على رأس دولته، أمّا فيما يرتبط بدولة أهل البيت عليهم السلام فإنها ممتدة إلى ما شاء الله تعالى، على ما ورد في جملة من الروايات^(١).

نسأل الله تعالى أن يجعل حكومة العدل على يده عليه السلام طويلة وممتدة إلى ما تقر به الأعين وتثلج به الصدور.



١. الوافي للكاشاني: ج ٢، ص ٢٦٧، ب ٢٩؛ الإيقاظ من الهجة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي: ص ٣٣٦، ح ١١٩؛ بصائر الدرجات للحسن بن بن سليمان الحلي: ص ٢١٢؛ حيث ورد فيه عن همران بن أعين قال: عُمِر الدنيا مائة ألف سنة، لسائر الناس عشرون ألف سنة، وثمانون ألف سنة لآل محمد عليه وعليهم السلام.